JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الحادي والاربعون
(٣٧٧) (٣٦٥)

نظام الميزادريا او الميتاج في عصر النهضة الأوربية ١٣٠٠-١٧٨٩ م

م.د. رفل حسن عبيد
جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ
Rafal.Hassan@uowasit.edu.iq

المستخلص:

كانت العلاقة بين الريف والمدينة في أوروبا الغربية معقدة ومشابكة، ولكنها في الوقت نفسه تتصف بأنها عملية تكاملية من حيث توافر عناصر الإنتاج الزراعي في الريف ويكملها عملية التصنيع في المدينة وبذلك يكون كلاهما معتمداً على الاخر، خاصة في دويلات مدن شبه الجزيرة الايطالية وفرنسا، خصصت الدراسة لبيان دور القوانين في تنظيم احوال الريف وانعكاس ذلك التنظيم على المجتمع الأوربي بصورة عامة واوضح مثال على تلك الدراسة كانت في اقليم توسكانيا في الأراضي الايطالية بصورة خاصة.

شكل ذلك النظام المشهد الطبيعي الشهير لإقليم توسكانا وإيطاليا الوسطى؛ حيث البيوت الحجرية المنعزلة فوق التلال المحاطة بأشجار السرو والزيتون، وهو المشهد الذي خلدته لوحات فناني عصر النهضة. حيث كان الميزادريا نظاماً انتقالياً بين الإقطاع القديم والرأسمالية الحديثة، إذ حولت الزراعة من مجرد وسيلة للبقاء إلى استثمار منظم ساهم في تمويل النهضة الثقافية في المدن.

كان نظام الميزادريا أو كما هو معروف في فرنسا باسم الميتاج أحد تلك القوانين المهمة التي كانت حتى مطلع القرن العشرين المنظم الأساسي للعلاقة بين كبار ملاك الأراضي والعاملين فيها، والسبب الأهم في ظهور الكيانات السياسية المسماة دويلات المدن الايطالية والتي لم تعتد أوروبا على ظهورها حتى مطلع منتصف القرن الثالث عشر وما بعدها، والمصدر الرئيسي في تمويل اقتصاد النهضة الأوربية مما انعكس ذلك بصورة ايجابية على رفع المستوى الفني والسياسي والعلمي لمخرجات عصر النهضة، بعبارة اخرى لولا تنظيم الريف التوسكاني وفق تلك القوانين لما ظهرت ما يسمى بثقافة عصر النهضة الاوروبية.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الكلمات المفتاحية :الميزادريا، الميتاج، توسكانيا، عصر النهضة الأوربية، الريف الأوربي.

The Mezzadria or Métayage system in the European Renaissance 1300-1789م

Assistant Professor. Rafal Hassan Aabid Alshojiry
University of Wasit / College of Basic Education/ Department of History
Rafal.Hassan@uowasit.edu.iq

Abstract

The relationship between rural and urban areas in Western Europe was complex, intertwined, and characterized by integration, particularly in the city-states of the Italian peninsula and France. The study of social and economic conditions in rural areas, especially the laws governing relationships between individuals in rural society, became crucial. This study focuses on the role of laws in regulating rural affairs and the impact of this regulation on European society in general. A prime example of this study is found in the Tuscany region of Italy.

This system shaped the famous landscape of Tuscany and central Italy, with its isolated stone houses perched atop hills surrounded by cypress and olive trees—a scene immortalized in the paintings of Renaissance artists. The mezzadria served as a transitional system between old feudalism and modern capitalism, transforming agriculture from a mere means of subsistence into a structured investment that contributed to financing the cultural renaissance in the cities. The mizadria system, or as it is known in France, the mitag, was one of those important laws that, until the beginning of the twentieth century, was the main regulator of the relationship between the large landowners and the workers on it, and the most important reason for the emergence of the political entities called the Italian city-states, which Europe was not accustomed to seeing until the beginning of the middle of the thirteenth century and beyond, and the main source of financing the economy of the European Renaissance, which was reflected positively on raising the artistic, political and scientific level of the outputs of the Renaissance era. In other words, if the Tuscan countryside had not been organized according to those

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

laws, what is called the culture of the European Renaissance era would not have appeared..

Keywords :Mezzadria, Métayage Tuscany, European Renaissance, European countryside.

المقدمة

كان الريف على مر العصور الشكل الأول للحياة الانسانية، ثم ما لبثت المجتمعات أن تحولت إلى ريف ومدينة، لكن العلاقة بينهما بقيت علاقة تكامل لأن الريف كان الدعامة الأساسية لحياة وديمومة معيشة أي مجتمع، سواء في اوروبا أي في مكان آخر، لما يمتلكه الريف من منتجات زراعية ضرورية لعيش سكان المدينة والريف، كذلك حاجة الريف للمدينة بوصفها سوق ضروري لتصريف المنتجات الزراعية وكذلك مصدر مهم للمواد المصنعة مثل الاقمشة والادوات المختلفة وغيرها. كذلك اعتماد الريف على المدينة في قضية الإدارة السياسية والاقتصادية والحماية العسكرية. ثم ما لبثت تلك العلاقة بين الريف والمدينة ان تعقدت وتشابكت بشكل كبير خصوصاً في نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة الأوربية.

مثل النشاط الزراعي للقارة الأوربية بصورة عامة، وشبه الجزيرة الايطالية بصورة خاصة عماد الحياة الاقتصادية المعيشية للقارة، ومن ذلك المنطلق يبرز سبب اختيار موضوع دراسة البحث الذي خصص لدراسة أحد أهم القوانين التي سارت عليها الحياة الريفية ونظمت العلاقة في الريف ، والتي تمثلت بكبار ملاك الأراضي من الطبقة الارستقراطية الذين سكنوا في الغالب في المدينة، رغم ان اغلب املاكهم في الريف والتي اوكلت مهمة ادارتها والعمل فيها لفلاحين من سكان الريف، وهنا يأتي دور نظام الميزادريا او الميتاج لتنظيم تلك العلاقة.

حددت فترة دراسة الموضوع بين عامي (١٣٠٠-١٧٨٩)، حيث كان سبب اختيار عام ١٣٠٠ كبداية لدراسة الموضوع ذلك العام هو بداية البوادر التقريبية لضهور معالم النهضة الأوربية الحديث والتي كان أبرزها ظهور الكيانات الأوربية الصغيرة منها دويلات المدن الايطالية وبقية كيانات القارة الاوروبية وتغير الحالة السياسية والإدارية بما فيها الوضع الاقتصادي والريفي بصورة خاصة ومنها القوانين التي تنظم عمله، أما عام ١٧٨٩ فقد كان سبب اختيارنا له كعام لنهاية الدراسة أن ذلك العام يمثل تغير الإدارة التقليدية التي كانت سائدة ومتبعة في العصور الوسطى والعصور القديمة والدخول في عهد الأفكار الجديدة قيد التطبيق بشكل عملي منها التحرر من العبودية نهاية نظرية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الحكم المطلق وغيرها مما اثر بشكل واضح على تغير مفهوم نظام الميزادريا او الميتاج رغم استمرار العمل به بشكل شكلي لكن تغير مضمونة بشكل كبير.

تطلبت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى ثلاثة محاور، خصص المحور الأول الذي حمل عنوان استخدام نظام الميزادريا او الميتاج بصور عامة في اوروبا وخاصة في الجزء الغربي منها مثل دول فرنسا وايطاليا والأراضي الالمانية وغيرها والوقوف على احوال الريف فيها، اما المحور الثاني فقد خصص لبيان تأثير استخدام نظام الميزادريا في ظهور دويلات المدن الايطالية وكيف ساهم في نشوء تلك الكيانات السياسية في سبيل تحقيق الوحدة الاقتصادية المتكاملة، فيما بين المحور الثالث الذي حمل عنوان استخدام نظام الميزادريا في اقليم توسكانيا، تأثير استخدام ذلك النظام في تحقيق الوحدة الاقتصادية المتكاملة في اقليم توسكانيا الذي شكل الريف القسم الاكبر منه وشريان حياة مدنه التي كانت اهمها مدينة فلورنسا حيث كانت مركز إدارة الاقليم .

تكمن فرضية الدراسة في الإجابة عن سؤالين هما :

- ما المقصود بنظام الميزادريا أو الميتاج في عصر النهضة الأوربية.
- ما هو دور نظام الميزادريا أو الميتاج في ظهور نتاجات عصر النهضة الأوربية.

استخدمت الكثير من المصادر في الدراسة اهمها كتاب المؤلف (Guido Ruggiero جيدو روجيرو) الذي حمل عنوان (The Renaissance in Italy عصر النهضة في ايطاليا) الذي كان خير معين في الوقوف على الاحوال الاجتماعية والثقافية لايطاليا في عصر النهضة ومنها احوال الريف، كذلك اطروحة الدكتوراه للباحث (رفل حسن عبيد) التي حملت عنوان (دور عائلة ميديتشي في النهضة الأوربية دراسة تاريخية في الجوانب الاقتصادية والثقافية ١٣٩٧-١٥١٥) التي زودتنا بمعلومات وافية عن فلورنسا واقليم توسكانيا فيما يخص الجانب الثقافي والاقتصادي للمدينة والريف. والكثير من المصادر الاخرى التي اغنت ثنايا الدراسة.

والله ولـــــــــــي التـــــــــــوفيـــــــق

الباحث

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المحور الأول: استخدام نظام المتياج في اوروبا

يعرف نظام المتياج بأنه نظام زراعي يقوم فيه شخص ما بزراعة الأرض لصالح مالكها مقابل الحصول على نسبة معينة من المحصول، وهناك نوع آخر من استئجار الأراضي في فرنسا يُسمى فيرماج، حيث يُدفع الإيجار سنويًا بالأوراق النقدية، كانت المزرعة التي تعمل بنظام المتياج تُعرف باسم ميتيري، ومنه أصبح الأصل في تسمية بعض الأماكن في المناطق التي كان يُستخدم فيها ذلك النظام، مثل (ميتايري – لويزيانا) وغيرها (Balard, 2011, p. 368).

أُقِرَّ استخدام نظام المتياج بموجب القانون الروماني، على الرغم من أنه لم يكن شائع الاستخدام، وقد أثبت جدواه بعد تحرير العبيد الرومان، إذ إن أغلب الفلاحين المحررين حديثاً لم يكونوا يملكون أرضاً او نقوداً، في حين ادى الانفجار السكاني في شمال إيطاليا وجنوب شرق فرنسا، عقب انتهاء موجة الطاعون الأسود في أواخر العصور الوسطى، بالإضافة إلى النقص النسبي في الأراضي الحرة، إلى جعل نظام "ميتاج" جذاباً لكل من مالك الأرض والمزارع، وبمجرد ترسيخه استمر ذلك النظام حتى القرن الثامن عشر، على الرغم من أن أسبابه الأساسية قد خُففت بالهجرة إلى العالم الجديد عند اكتشاف الامريكيتين (Crook, 1967, p. 157)

المِتْيَاج نوع من أنواع حيازة الأراضي، حيث يستخدم المزارع (المِتْيَاج) الأرض دون امتلاكها، ويدفع إيجارًا عينياً للمالك المِتْيَاج الخالص هو شكل من أشكال حيازة الأراضي بالمشاركة، إذ يدفع المزارع ما يقارب نصف الإنتاج السنوي وتشغل عائلة المِتْيَاج الأرض التي يزرعها بشكل دائم ويصف ذلك المصطلح ما كان على الأرجح النوع السائد من حيازة الأراضي في فرنسا خلال القرن الثامن عشر، وبالتأكيد في جنوب فرنسا، وفي أجزاء من إيطاليا، كانت حيازة المِتْيَاج الفرنسي النموذجية صغيرة، وتتألف إما من قطعة أرض واحدة متراصة أو قطع أرض متفرقة، وكان مالك الأرض عادةً ما يُوفر الأصول الرأسمالية الرئيسية، وربما يشمل ذلك الماشية وسادت قوانين العمل بها الأعراف المتوارثة بدلًا من العقود المكتوبة (Sokoloff, 1980, p. 361)

أثر استخدام ذلك النظام الزراعي على الدول التي استعمرتها الدول الأوربية وانتقل استخدامها اليها، إذ إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت منها مزارع المشاركة في أواخر العصور الوسطى في فرنسا، بما في ذلك الضغط السكاني الكبير على إمدادات الأراضي المحدودة، كانت موجودة في أوقات مختلفة في الهند واليابان وشرق أوروبا وجنوب الولايات المتحدة، وقد أنتجت أنظمة مماثلة لمزارع المشاركة (Encyclopædia Britannica– (CD), 2014).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تركز استخدام نظام الميتاج في أوائل العصور الوسطى في شمال فرنسا ومنطقة الراين، حيث شجع الازدهار المتنامي لزراعة كروم العنب على نطاق واسع إضافة لدخول المنتج الجانب الصناعي، استمراراً لعمل الرومان القدماء باستخدام العبيد، وقد جعل التضخم المفرط الذي أعقب تدفق ذهب حضارة الإنكا[١] من الأمريكتين نظام "ميتاج" مفضلًا على الإيجار النقدي والعمل بأجر لكلا الطرفين. وكان العامل الذي يُطلق عليه اسم كومبلانت يعرض زراعة قطعة أرض غير مزروعة تابعة لمالك الأرض والاعتناء بها، وكان المالك الأصلي يمتلك الكروم، بينما يحصل المستأجر على ما بين ثلث إلى ثلثي إنتاج الكروم مقابل استخدام أرض المالك (Johnson, 1989, p. 116)، وقد شاع استخدام ذلك النظام في زراعة منطقة شامبانيا بشكل كبير، كما استخدم مصطلح "bailleur" للإشارة إلى المالك في نظام الميتاج (Roger, 1991, p. 798).

في إيطاليا وفرنسا، لاسيما خلال العصور الوسطى، كان يُطلق على استخدام ذلك النظام اسم mezzadria وmétayage ويقصد به نظام التقسيم النصفي اي تقاسم إنتاج الأرض بين مالكها والمستأجر، ولم يكن التقسيم النصفي يعني كميات متساوية من الإنتاج، بل كان يعني التقسيم وفقًا لاتفاق معين، وكان المحصول قابلاً للتقسيم بنسب محددة، والتي من البديهي أنها كانت تختلف باختلاف خصوبة التربة والظروف الأخرى، وقد تباينت في الواقع لدرجة أن حصة المالك كانت تصل أحيانًا إلى الثلثين، وأحيانًا أخرى إلى الثلث فقط، وفي بعض الأحيان كان المالك يوفر جميع المواشي، وفي أحيان أخرى جزءًا منها فقط، ربما الماشية والبذور، بينما يوفر المزارع الأدوات، أو ربما نصف البذور ونصف الماشية فقط، ويتكفل المزارع بالنصف الآخر، وهكذا جُمعت الأدوات الأساسية للقانون الروماني ضمن نظام المتياج، كما كانت الضرائب تُقسم في كثير من الأحيان، حيث يدفعها أحد الطرفين بالكامل، أو يدفعها كلاهما معاً (Crook, 1967, p. 158).

وجد في فرنسا كذلك نظام يقوم على تأجير مزرعة كبيرة ليس لمزارع واحد، بل لجمعية من عدة مزارعين يعملون معًا لتحقيق المصلحة العامة تحت إشراف المالك أو وكيله تجاوز أتباع ذلك النظام

---

(١) حضارة الإنكا هي إمبراطورية قديمة قوية نشأت في جبال الأنديز بأمريكا الجنوبية (قرابة ١٤٠٠-١٥٣٣م)، اتخذت من مدينة "كوسكو" في بيرو عاصمة لها، وامتدت لتشمل أجزاء من الإكوادور، بوليفيا، تشيلي، والأرجنتين. عُرفت بتنظيمها الإداري المحكم، وهندستها المعمارية المذهلة، وزراعتها المتقدمة، وعبادة الشمس، قبل أن يغزوها الإسبان، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Encyclopædia Britannica Chicago (CD), 2014.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

صعوبة إيجاد مستأجرين يملكون رأس مال وعمالة كافيين لإدارة المزارع الكبيرة، وكان ذلك النظام شائعًا في بعض مقاطعات إيطاليا وفرنسا، واستمر العمل به في بعض المناطق حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكانت أنظمة مماثلة موجودة سابقًا في البرتغال وقشتالة واليونان وفي الدول المطلة على نهر الدانوب، وقد استُخدم نظام المتياج في المستعمرات الفرنسية، لا سيما بعد إلغاء العبودية (Moreau & Louis, 1849, pp. 258-261).

أجمع الكتّاب البريطانيون على إدانة نظام المتياج، إلى أن تبنى (جون ستيوارت ميل) موقفاً مختلفاً فقد حكموا عليه من خلال تجربته في فرنسا، إذ كان المتياج يدفع جميع الضرائب المباشرة في ظل النظام القديم، بينما كان مالك الأرض النبيل معفيًا منها، بما أن الضرائب كانت تُفرض بناءً على المحصول الظاهر للأرض، فقد كانت بمثابة عقوبات على الإنتاجية، وفي ظل ذلك النظام كان بإمكان المزارع أن يتوهم أن مصلحته تكمن في بذل جهد أقل لزيادة حصته الإجمالية التي تُقسم بينه وبين مالك الأرض، وأن يُشجع بدلاً من ذلك على الاحتيال على الأخير للحصول على الجزء المستحق من حصته ويعود ذلك جزئيًا إلى حالة الفقر النسبي التي كان يعيشها المزارع، وإلى المدة المحددة لحيازته الأرض والتي بدونها لا يمكن لنظام المستأجرين أن يزدهر، فيما كان المزارعون الفرنسيون، في زمن (آرثر يونغ) قابلين للعزل متى شاءوا وملزمين بالامتثال في كل شيء لإرادة ملاك أراضيهم (Cruveilhier, 1894, p. 107).

في عام ١٦٠٠، كتب مالك الأرض (أوليفييه دي سير(كتاب (مسرح الزراعة) الذي أوصى فيه باستخدام نظام المستأجرين(الميتاج) حيث كان المستأجرون النقديون للأراضي يتحملون جميع المخاطر، وبالتالي يطالبون بتحديد إيجار أقل من قبل ملاك الأراضي، في وقت كانت إدارة العمالة المأجورة مكلفة جداً من حيث القيمة المالية وذلك ما يقلل من هامش الربح للمستأجرين للأراضي (Hoffman, 1984, p. 312)، كما أعرب المختص في الشأن الاقتصادي التاريخي (سيموند دي سيسموندي) عام ١٨١٩ عن استيائه من نظام الميتياج الذي اسماه (نظام الإقطاع) لأنه حسب اعتقاده عزز فقر الفلاحين وعرقل أية تنمية اجتماعية أو ثقافية (Sismondi, 1991, p. 181).

وعلى الرغم من أن نظام الميتياج والفقر الريفي المدقع كانا متلازمين في الغالب، إلا أن هناك مقاطعات في فرنسا وإيطاليا (وخاصة في سهول لومبارديا) كان الوضع فيها معاكساً (Cruveilhier, 1894, p. 109).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

المحور الثاني: تأثير استخدام نظام الميزادريا على ظهور دويلات المدن الايطالية

ظهر مفهوم الميزادريا ضمن تطور العلاقات التعاقدية في الأرياف الإيطالية، خاصة في أقاليم توسكانا وأومبريا وماركي كان العقد يُبرم عادةً لفترة طويلة، ويتضمن شروطًا تفصيلية تتعلق بنوع المحاصيل، وتقسيم الأرباح، وواجبات كل طرف واتسمت تلك العقود بطابع شبه أبوي، إذ احتفظ المالك بسلطة معنوية واقتصادية على الأسرة الفلاحية، في حين التزم الفلاح بالإقامة الدائمة في المزارع (Pinto, 2019, pp. 49–50)، ومع مرور الوقت ظهر نوع آخر من العقود وهو المسمى (المستعمرة الجزئية colonia parziaria) هي عقد زراعي تاريخي في إيطاليا، يجمع بين مالك الأرض ومزارع (أو أكثر) لإدارة مزرعة وتقاسم النفقات والمنتجات بنسب محددة، وتختلف عن مزارع الميزادريا بأنها قد لا تشمل سكناً، وتعتبر شكلاً من أشكال الشراكة لإدارة الأرض (Pinto, 2019, p. 50).

أثرت التغيرات في طبيعة الاقتصاد في المدن والريف تأثيرًا عميقًا على تطور كل من الجمهوريات والإقطاعيات، ورغم أن الباحثين اليوم غالبًا ما يزعمون أن "الاقتصاد الحضري" كان المحرك الرئيسي لشمال ووسط إيطاليا في تلك الفترة، على عكس بقية أوروبا، إلا أن معظم الإيطاليين كانوا لا يزالون يعيشون على الأرض، وكان ازدهار أية مدينة يعتمد بشكل كبير على أراضيها الريفية ، وهنا وعلى الرغم من الاختلافات في الزراعة نتيجة لاختلاف المناخ وأنواع التربة، فقد ظهرت أنماط معينة من التطور داخل شبه الجزيرة الايطالية وبحلول نهاية القرن الثالث عشر، كاد نظام القنانة أن يندثر وبدأت أشكال أخرى من حيازة الأراضي بالظهور لتحل محله وفي بعض الأحيان، كان الفلاحون يزرعون الأرض كأحرار (كما كان يفعل الكثير من الفلاحين دائمًا حتى في أوج النظام الإقطاعي) وفي بعض الأحيان (وكان ذلك صحيحًا بشكل خاص بالنسبة للعقارات الكنسية الكبيرة في شمال إيطاليا) (Encyclopædia Britannica– (CD), 2014).

كانت الأراضي تُؤجَّر بموجب عقود إيجار وراثية دائمة مقابل إيجارات منخفضة، وهو إجراء كان يؤدي في الواقع غالبًا إلى تجريد ملاك الكنائس من ممتلكاتهم لصالح مستأجرين مدنيين لكن نظام الإيجار الجديد الأكثر شيوعًا منذ القرن الثالث عشر كان ذلك الذي يعرض فيه اصحاب الاملاك عقود إيجار قصيرة الأجل مقابل إيجارات مرتفعة، إما نقداً أو عينياً في أغلب الأحيان. ومن بين تلك العقود، برز نظام المشاركة في المحاصيل، ولا سيما نظام ميزادريا في عقود الميزادريا كان المالك يُقدِّم نصف البذور المزروعة ويحصل في المقابل على نصف ثمار المستأجر، وغالبًا ما كان العقد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

قابلًا للتجديد سنويًا، وهو شرطٌ يُشكِّل قدراً كبيراً من عدم الأمان للمستأجر، الذي كان مُلزمًا بمغادرة الأرض عند انتهاء مدة العقد، في كثير من الأحيان، ولضمان حصول مالك الأرض على كامل عائد إيجاره، كانت تُرفق بشروط تفصيلية بشأن تناوب المحاصيل، والحرث، والحفر، والتسوية، وبشكل عام يُمكن اعتبار ذلك الشكل من الحيازة الذي ظل سمة أساسية للحياة الريفية في شمال إيطاليا حتى منتصف القرن العشرين، أقرب إلى اتفاقية استئجار عمالة منه إلى اتفاقية تأجير أرض (Crook, 1967, p. 158)

في الوقت نفسه، كان نظام الزراعة المكثفة يتطور قبل منتصف القرن الثالث عشر، كانت العقارات الكبيرة المتجانسة نادرة، وكان من غير المألوف أن يمتلك شخص واحد نصف أبرشية أو أكثر، ومنذ ذلك الحين بدأت الأجزاء المتفرقة تتحد تدريجيًا لتشكل مزارع موحدة مثل "البوديري" في توسكانا الحديثة، وكانت أرباح التجارة تُستخدم في بناء شبكات الصرف وزراعة الأشجار وبناء المنازل وشراء الماشية والأسمدة والأدوات الزراعية، وفي تلك المناطق بدأ نظام الحقول المشتركة بالتلاشي مع تراجع المراعي المشتركة وتزايد عدد المزارع الفردية المحاطة بالأسوار، واستقر العمال في المزارع تاركين القرية لإيواء مجموعة من العمال الموسميين، وبحلول نهاية القرن الرابع عشر حلت الضيعات الواسعة التي تهيمن عليها بيوت ريفية مقرات استجمام ملاك الأراضي الحضريين محل المشهد القديم المتمثل في شرائط متناثرة من الأرض وقرى محصنة، مع ذلك، لم تكن تلك التطورات متجانسة بأي حال من الأحوال حتى في سهل إميليا وتوسكانا، حيث كانت أكثر شيوعاً، وفي الجنوب استمرت اللاتيفونديا وهي عبارة عن ضيعات كبيرة لم يمتلكها سوى عدد قليل من كبار ملاك الأراضي في الوجود، ولكنها أصبحت تُزرع الآن بالعمالة المأجورة (Ruggiero, 2015, p. 108)

المحور الثالث: استخدام نظام الميزادريا في اقليم توسكانيا

تميزت الزراعة التوسكانية بشيوع استخدام نظام الميزادريا حيث يُوفر صاحب الأرض رأس المال والنفقات الجارية، ويتقاسم مالك الأرض المحصول مع المستأجر الذي يُوفر العمل، واتبعت فلورنسا خطى أغلب المدن الصغيرة الايطالية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بالتوجه نحو زيادة الاستثمار في القطاع الزراعي وتطوير الريف، وهو ما عرف بنظام (الكونتادو Contado)[٢]

(٢) مصطلح استخدم للتعبير عن المنطقة الريفية المحيطة بالمدينة والتي تعتبر المصدر الرئيسي للمنتجات الزراعية للمدينة ويصف المختصون ان الكونتادو والمدينة يمثلان وحدة إدارية تكاملية من حيث رأس المال والإنتاج وتصريف المنتجات والاستهلاك سميت بـ(دويلة المدينة)، برز الاهتمام بالكونتادو مع بداية العصور الحديثة في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

والذي كان الأساس في ظهوره هي الغزوات البربرية وما خلفته من دمار فضلاً عن الحروب المحلية المستمرة بين المدن أواخر العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، وشاع في ايطاليا عامة وفلورنسا خاصة اتباع نظام جديد للزراعة في الريف وكانت أهم فقراته هو الجانب الذي يخص تنظيم العلاقة ما بين الفلاح ومالك الأرض، إذ كانت المشكلة الأساسية التي واجهت اللوردات (ملاك الأراضي) هي توفير اليد العاملة ولاسيما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وذلك لقلة عدد السكان العائد لعدة أسباب أبرزها: هجرة سكان الريف للمدينة بعد قلة اليد العاملة في المدينة نتيجة الحروب والأوبئة، وقضاء الكثير من السكان نحبهم في الريف نتيجة ظروف قاسية مثل الامراض والغزوات البربرية والحروب، كذلك وفقاً لنظام العصور الوسطى كان الفلاح يؤجر الأرض من المالك او يعمل لديه بمردود قليل لا يكاد يكفي سد رمق العيش ناهيك عن تطوير حياته، مما دفع أغلب الفلاحين للهجرة للمدينة بحثاً عن فرص أفضل للحياة في ظل نقص اليد العاملة في المدينة كما ذكرنا، وكذلك توسع الصناعات ولاسيما الصوفية التي تتطلب الكثير من اليد العاملة الأمر الذي جعل الطلب على اليد العاملة من الريف يتضاعف (Ruggiero, 2015, pp. 107-108).

كنتيجة حتمية لتلك التطورات تطلبت الظروف إنهاء التعامل بالقانون الريفي الذي ينظم العلاقة بين الفلاح ومالك الأرض، وحلول محله نظام جديد وهو عبارة عن عقد ايجار عمل بين الفلاح ومالك الأرض مدته في الغالب (٣٣ عام) على وفق القانون الروماني الممتد التعامل به من العصور الوسطى حتى القرن الثالث عشر ويسمى **(قانون الكتيب الصغير libellus singular)** (عبيد، ٢٠٢٤، الصفحات ٥٤-٥٥)، والملاحظ غالباً هو موت الفلاح في ظروف معيشية سيئة بعمر الثلاثين عاماً في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مع ذلك شهدت أوروبا خلال القرنين الأخيرين نمواً سكانياً ولاسيما اقليم توسكانيا الذي شهد اكتظاظاً سكانياً على الرغم من كل الظروف التي ذكرناها، لكن تبقى مشكلة نقص اليد العاملة في الريف بحاجة إلى حل وكان الحل ايجاد صيغة عقدية جديدة تربط الفلاح مع مالك الأرض لتظهر ما تسمى بعقود الميزادريا أي قانون تأجير

ايطاليا وتحديداً مع بداية ظهور دويلات المدن الأوربية المسمات بالكوميونات The Communes رغم ان الجذور لاستخدام ذلك النظام يعود للعهد الروماني في اوروبا، والجدير بالذكر ان اغلب ملاك الأراضي الكبار في الريف الفلورنسي هم من الطبقة الارستقراطية في المدينة، والذين يتنافسون على حكم دويلة المدينة امثال عائلة ميديتشي والبيزي وغيرهم،

Encyclopaedia Britannica , Chicago , 2014.(CD)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الأرض للفلاح مقابل جزء من إنتاج الأرض الذي غالباً ما يكون النصف وذلك حقق عدة فوائد اهمها (Ruggiero, 2015, p. 108):

١- وفر يد عاملة دائمة للأرض الريفية واستغلال دائم لها الذي بدوره سيوفر دخل مستمر لمالك الأرض.

٢- حقق الملاك أرباحا أكثر مما لو كانوا هم من اشرفوا على زراعتها بأنفسهم، لأن الفلاح سوف يحسن ويجتهد في زراعة الأرض بحثاً عن الربح والإنتاج الاكثر، مما يوفر إنتاجا وربحا أكثر لمالك الأرض.

٣- وفر حياة أكثر استقراراً للفلاح وأكثر رفاهية من الفترات السابقة، مما شجعهم بالتمتع بالاستقلالية والكرامة والاستقرار الريفي.

يُعد نظام الميزادريا أحد أبرز النظم الزراعية القائمة على المشاركة في المحصول في التاريخ الأوروبي، وقد ارتبط بصورة وثيقة بالبنية الاقتصادية والاجتماعية لوسط إيطاليا منذ العصور الوسطى حتى منتصف القرن العشرين يقوم ذلك النظام على عقد شراكة بين مالك الأرض والفلاح، بحيث يقدّم الأول الأرض ورأس المال أحيانًا، بينما يقدّم الثاني العمل اليدوي والإدارة اليومية، ويتم تقاسم المحصول غالبًا مناصفةً بين الطرفين، تكمن أهمية دراسة ذلك النظام في كونه يمثل نموذجًا وسيطًا بين الإقطاع التقليدي والزراعة الرأسمالية الحديثة، الأمر الذي يجعله مادة خصبة للتحليل التاريخي والاقتصادي والاجتماعي (Sereni, 1971, p. 22).

اعتمدت الميزادريا على الأسرة كوحدة إنتاجية متكاملة، حيث شارك جميع أفراد الأسرة في العمل الزراعي .عزز ذلك النمط من الإنتاج الروابط الأسرية، لكنه في الوقت نفسه حدّ من الحراك الاجتماعي، إذ بقيت العائلات مرتبطة بالأرض بعقود طويلة الأمد .كان رب الأسرة يمثل الوسيط بين المالك وبقية أفراد الأسرة، ما عزز الطابع الأبوي للنظام، من الناحية الاقتصادية، وفّر النظام آلية لتقاسم المخاطر الزراعية بين المالك والفلاح، خاصة في ظل تقلبات المناخ والأسعار . غير أن تقاسم الأرباح بالتساوي قلل من الحافز الفردي لدى الفلاح للاستثمار طويل الأجل، كما حدّ من رغبة المالك في إدخال تقنيات حديثة مكلفة .وبالتالي، يرى بعض المؤرخين الاقتصاديين أن الميزادريا أسهمت في استقرار نسبي، لكنها أعاقت النمو الإنتاجي السريع (M.Cipolla, 2005, p. 6).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الخاتمة

- يمثل نظام الميزادريا تجربة تاريخية فريدة في تنظيم العلاقة بين العمل ورأس المال في المجال الزراعي، وقد أظهر ذلك النظام قدرة على التكيف والاستمرار، لكنه في النهاية لم يستطع الصمود أمام متطلبات الاقتصاد الحديث، إن دراسة ذلك النموذج تتيح فهمًا أعمق لمسار التحولات الاجتماعية والاقتصادية في أوروبا.
- مع ازدهار مدن مثل فلورنسا وفينيسيا، بدأ التجار بشراء الأراضي الريفية واستثمارها عبر "الميزادريا" كنوع من التنويع المالي والوجاهة الاجتماعية وعرف المستثمرين في ذلك النوع من النشاط الاقتصادي بالبرجوازيين ثم ما لبثوا مع مرور الوقت إلى تحولهم لطبقة اجتماعية عرفت بالطبقة البرجوازية
- على عكس الأجراء اليوميين، كان الفلاح يعيش مع عائلته في بيت داخل المزرعة، مما خلق نوعاً من الاستقرار الأسري والارتباط العميق بالأرض.
- شجع هذا النظام على زراعة "البوليكولتورا" (الزراعة المتعددة)، حيث تُزرع الحبوب والكرمة والزيتون في آن واحد لضمان الاكتفاء الذاتي وتقليل المخاطر.
- وفر اتباع ذلك النظام حماية للفلاح من تقلبات السوق (لأن حصته عينية وليست نقدية) ووفر للمالك دخلاً ثابتاً دون الحاجة للإشراف المباشر، وأدى أحياناً إلى المديونية المزمنة فإذا كان المحصول سيئاً، يضطر الفلاح لاقتراض حصته من البذور أو الطعام من المالك مما يجعله مرتبطاً بالأرض قانونياً وأخلاقياً لسنوات طويلة.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مراجع

1.Balard, M. (2011). Le Moyen Âge en Occident. Bleuzen- France: Hachette Éducation.
2.Christophe Moreau و ،Mathurin Louis. (1849). Du Droit a l'Oisiveté et de l'Organisation du Travail Servile Dans les Républiques Grecques et Romaine . Paris: Chez Guillaumin et Ce.
3.Crook, J. (1967). Law and Life of Rome: 90 B.C. to A.D. 212. New York: Cornell University Press.
4.Cruveilhier, J. (1894). Étude sur le métayage. Paris: Hachette.
5.Encyclopædia Britannica- (CD). (2014). Encyclopædia Britannica. Chicago: Encyclopædia Britannica, Inc.
6.Hoffman, P. T. (1984). The Economic Theory of Sharecropping in Early Modern France. The Journal of Economic History(2), pp. 309-319.
7.Johnson, H. (1989). Vintage: The Story of Wine. New York: Simon and Schuster.
8.M.Cipolla, C. (2005). BEFORE THE INDUSTRIAL REVOLUTION European Society and Economy, 1000–1700 (Vol. 3). London, UK: Taylor & Francis e Library.
9.Pinto, G. (2019). CITY AND COUNTRYSIDE IN MEDIEVAL ITALY: SOME REFLECTIONS ON TWENTIETH-CENTURY HISTORIOGRAPH. Acta Poloniae Historica, pp. 45-60.
10. Roger, D. (1991). Histoire de la vigne et du vin en France des origines au XIXe siècle. Bénouville- France: par Flammarion.
11. Ruggiero, G. (2015). The Renaissance in Italy. University of Cambridge- UK: Cambridge University Press.
12. Sereni, E. (1971). Il capitalismo nelle campagne (1860-1900) (Vol. 2). Torino: Libri Einaudi.
13. Sismondi, S. d. (1991). Nouveaux principes d'economie politique, ou de la Richesse dans ses rapports avec la population. (R. Hyse, Trans.) London: Transaction Publishers.
14. Sokoloff, S. (1980, 7 1). Land Tenure and Political Tendency in Rural France: The Case of Sharecropping. European History Quarterly(3), pp. 357-382.
١٥.رفل حسن عبيد. (١ ١١, ٢٠٢٤). دور عائلة ميديتشي في النهضة الأوربية دراسة تاريخية في الجوانب الاقتصادية والثقافية ١٣٩٧–١٥١٥. اطروحة دكتوراه. بغداد، بغداد، العراق: جامعة بغداد– كلية الاداب.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ